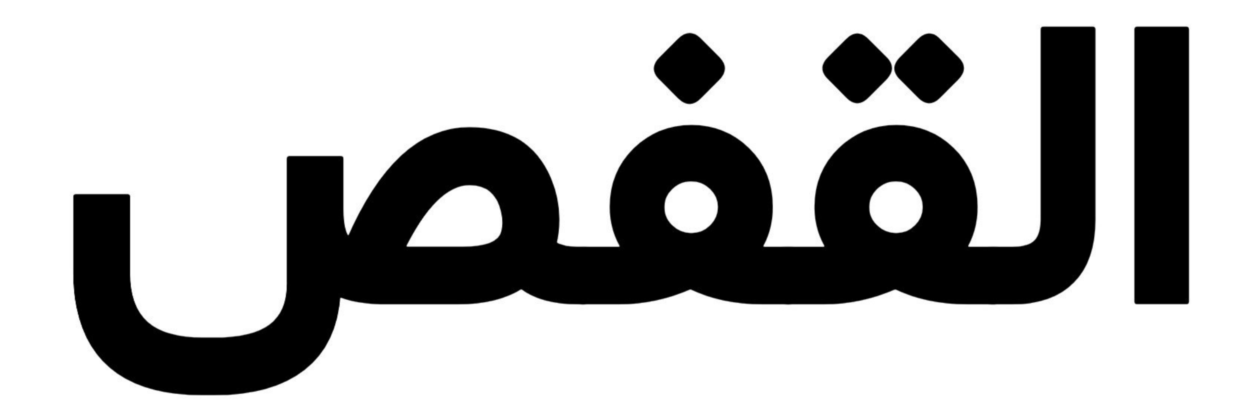
أ. بيرترام تشاندلر



قصة قصيرة من أدب الخيال العلمي

ترجمة : محمد عبد العزيز



منشورات ويلز

دائمًا ما يكون السجن تجربة مهينة، مهما كان السجين فلسفيًا وحاول النظر للأمور من وجهة نظر محايدة.

إن سجن المرء على يد أبناء جنسه أمر سيئ بما فيه الكفاية، ولكن يمكن للمرء على الأقل أن يتحدث إلى آسريه، ويمكنه التعبير عن رغباته بشكل مفهوم؛ يمكنه في بعض الأحيان أن يناشدهم إنسانًا لإنسان.

لكن الحبس يكون مهينًا بشكل مضاعف عندما يعامله الآسرون، بصدق، كحيوان أدنى!

ربما يمكن أن تُعذَر الفرقة التي كانت على متن سفينة الاستكشاف، لفشلها في العثور على الناجين من السفينة «لود ستار»، التي كانت تطوف بين النجوم، وتمييزهم ككائنات عاقلة. فقد مر ما لا يقل عن مائتي يوم على الأقل منذ هبوطهم على الكوكب المجهول هبوطًا اضطراريًا، حدث عندما دفعت مولدات «إرنهافت» الخاصة بـ«لود ستار»، التي كانت تعمل بشكل يفوق قدرتها الطبيعية بسبب عطل في المنظم الإلكتروني؛ بالسفينة الفضائية بعيدًا عن مسارات الشحن المعتادة إلى منطقة غير مستكشفة في الفضاء.

هبطت «لود ستار» بأمان؛ ولكن بعد ذلك بفترة وجيزة (المصائب لا تأتي فرادى أبدًا) خرجت المولدات عن السيطرة وأمر قائدها مساعده الأول بإجلاء الركاب وأفراد الطاقم الذين لا حاجة إليهم في التعامل مع حالة الطوارئ، وإبعادهم عن السفينة قدر الإمكان!

كان «هوكينز» قد ابتعد كثيرًا مع ما معه من أغراض عندما حدث وميض من الطاقة المنبعثة، كان انفجارًا ليس شديد العنف. أراد الناجون الالتفات للمشاهدة، لكن «هوكينز» دفعهم قدمًا بالشتائم وأحيانًا بالضربات. لحسن

الحظ أنهم كانوا في اتجاه الريح من السفينة وبالتالي نجوا من الإشعاع.

عندما بدا أن تلك الانفجارات قد انتهت، عاد «هوكينز» برفقة الدكتور «بويل»، جرّاح السفينة، إلى مكان الكارثة. أخذ الرجلان حذرهما من الإشعاع، وبقيا على مسافة آمنة من الحفرة الضحلة، التي لا يزال الدخان يتصاعد منها وكانت تشير إلى مكان السفينة. كان واضحًا جدًا بالنسبة لهما أن القائد وضباطه وفنييه لم يكونوا الآن أكثر من جزء متناهي الصغر من السحابة المتوهجة التي انتشرت وسط الغيوم المنخفضة!

بعد ذلك بدأت حالة خمسين رجلًا وامرأة، وهم الناجون من «لود ستار»، في التدهور. لم تكن العملية سريعة، فقد خاض «هوكينز» و«بويل»، بمساعدة مجموعة من الركاب الأكثر مسؤولية، معركة مقاومة شرسة. لكنها كانت معركة يائسة.

كان المناخ ضدهم من البداية، فالجو كان حارًا، دائمًا بالقرب من 85 درجة فهرنهايت. وكان الجو رطبًا، حيث يتساقط رذاذ خفيف دافئ طوال الوقت. بدا الهواء مليئًا بأبواغ من الفطريات ولحسن الحظ لم تهاجم هذه الفطريات الجلد الحي، بل كانت تتغذى على المواد العضوية الميتة والملابس. كانت تتغذى بدرجة أقل قليلًا على المعادن والأقمشة الصناعية التي كان يرتديها العديد من الناجين.

كان الخطن الخطر الخارجي، سيساعد في الحفاظ على الروح المعنوية. لكن لم تكن هناك حيوانات خطرة. لم يكن هناك سوى كائنات صغيرة ملساء الجلد، تشبه الضفادع كانت تقفز بين العشب الرطب، وفي الأنهار العديدة، كائنات تشبه الأسماك تتراوح في الحجم من الشرغوف إلى سمك القرش، وجميعها تمتلك عدوانية هذا الأخير.

لم يكن الطعام يمثل مشكلة بعد ساعات الجوع القليلة الأولى. وقد جرب

المتطوعون فطرًا كبيرًا ونضرًا ينمو على جذوع الأشجار الشبيهة بأشجار السرخس الضخمة. وقد أعلنوا أنه صالح. وبعد مرور خمس ساعات لم يمت أحد منهم أو يشتكي من أي آلام في البطن. أصبح هذا الفطر هو الغذاء الأساسي للناجين. في الأسابيع التي تلت ذلك عُثِر على فطريات أخرى وتوت وجذور وكلها صالحة للأكل، ما وفَّر تنوعًا مُرحَّبًا به في نظامهم الغذائي.

كانت النار - على الرغم من الحرارة السائدة في كل مكان - هي النعمة التي افتقدها الناجون أكثر من غيرها. فبواسطتها كان بإمكانهم تنويع نظامهم الغذائي باصطياد وطهو الكائنات الشبيهة بالضفادع من الغابات المطيرة، وأسماك الجداول. تناول بعض الأشخاص الأكثر جرأة هذه الحيوانات نيئة، لكن معظم أفراد المجتمع الآخرين استهجنوا ذلك. كذلك فإن النار ستساعد على تبديد ظلمة الليالي الطويلة، وستبدد بدفئها وضوئها الحقيقيين وهم الشعور بالبرودة الناتج عن تساقط الماء المتواصل من كل ورقة شجر وكل سعفة.

كان معظم الناجين يحملون ولاعات جيب عندما فروا من السفينة، لكن تلك الولاعات فُقدت عندما تحللت جيوبهم مع الملابس المحيطة بها. وعلى أي حال، فقد فشلت جميع محاولات إشعال النار في الأيام التي كانت لا تزال فيها ولاعات الجيب موجودة، لم تكن هناك بقعة جافة واحدة على هذا الكوكب اللعين بأكمله، كما أقسم «هوكينز». الآن صار إشعال النار مستحيلًا تمامًا: حتى لو كان هناك خبير في إشعال النار بفرك عودين جافين معًا، ما كان ليجد مادة يمكن أن يعمل بها.

أقاموا مستوطنتهم الدائمة على قمة تل منخفض (لم يكن هناك جبال على حد علمهم)، كانت الأشجار هناك أقل كثافة من السهول المحيطة بها،

وكانت الأرض أقل توحلًا تحت الأقدام. تمكنوا من اقتلاع السعف من أشجار شبيهة بالسراخس، وبنوا لأنفسهم ملاجئ بدائية، بحثًا عن الخصوصية أكثر من البحث عن أي راحة قد توفرها لهم. لقد تشبثوا، بأمل ضعيف، بأشكال التنظيم الحكومي للعوالم التي تركوها على الأرض، وانتخبوا لأنفسهم مجلسًا. وكان «بويل»، جراح السفينة، هو رئيسهم. ولدهشته، انتُخِب «هوكينز» عضوًا في المجلس بأغلبية صوتين فقط، وبعد التفكير في الأمر أدرك أن العديد من الركاب لا بد أنهم ما زالوا يحملون ضغينة ضد طاقم السفينة الإداري بسبب المأزق الحالي.

عُقِد أول اجتماع للمجلس في كوخ - إذا جازت تسميته كذلك - شُيِّد خصيصًا لهذا الغرض. جلس أعضاء المجلس في دائرة غير منتظمة. وقف «بويل»، الرئيس، ببطء على قدميه. ابتسم «هوكينز» بسخرية وهو يقارن جسد الجراح العاري بالغرور الذي بدا أنه اكتسبه من منصبه المنتخب، وكذلك وهو يقارن هيبة الرجل مع المظهر غير المهندم الذي سببه شعره الرمادي المشعث غير الممشط، ولحيته الرمادية الشعثاء القذرة.

بدأ «بويل» كلماته:

- أيها السيدات والسادة.

نظر «هوكينز» حوله إلى الأجساد العارية الشاحبة، وإلى الشعر الخشن الباهت، وإلى أظفار الرجال الطويلة المتسخة، وإلى شفاه النساء غير المطلية. ثم فكَّر: «لا أعتقد أنني أبدو كضابط ورجل نبيل أنا الآخر».

قال «بويل»:

- أيها السيدات والسادة، لقد انتُخِبنا، كما تعلمون، لتمثيل المجتمع البشري على هذا الكوكب. أقترح أن نناقش في هذا الاجتماع، اجتماعنا الأول،

فرص بقائنا على قيد الحياة، ليس بوصفنا أفرادًا، ولكن بوصفنا عِرقًا.

صاحت إحدى العضوتين في المجلس، وهي امرأة عجوز نحيفة ذات أضلاع وفقرات بارزة:

- أود أن أسأل السيد «هوكينز» عن احتمالات إنقاذنا.

قال «هوكينز»:

- ضئيلة. كما تعلمون، لا يمكننا الاتصال بسفن أخرى أو محطات كوكبية عندما يكون المحرك البين نجمي قيد التشغيل. لقد أرسلنا نداء استغاثة عندما خرجنا من السفينة وهبطنا، لكننا لم نتمكن من تحديد مكاننا. بالإضافة إلى ذلك، فنحن لا نعرف ما إذا كان النداء قد تُلُقّي من الأصل .

قال «بويل» بحدة:

- آنسة «تايلور»، سيد «هوكينز»، أود أن أذكّركما بأنني الرئيس المنتخب لهذا المجلس حسب الأصول. سيتاح لنا الوقت لمناقشة عامة لاحقًا. كما لا بد أنكم لاحظتم، فإن عمر هذا الكوكب، من الناحية البيولوجية، يتوافق تقريبًا مع العصر الكربوني على الأرض. وكما نعرف، لا يوجد حتى الآن أي نوع أو فصيلة تهدد تفوقنا وهيمنتنا. وبحلول الوقت الذي سيظهر فيه مثل هذا النوع - شيء يشبه السحالي العملاقة في العصر الترياسي للأرض - يجب أن نكون قد رسّخنا أقدامنا بشكل جيد.

قاطعه أحد الرجال:

- سنكون قد متنا وقتها!

وافق الطبيب قائلًا:

- سنكون قد متنا، لكن أحفادنا سيكونون على قيد الحياة. علينا أن نقرر

كيف نمنحهم بداية جيدة قدر الإمكان. اللغة التي سنورثها لهم.

صاحت المرأة الأخرى بالمجموعة، وكانت شقراء صغيرة الحجم، نحيفة، ذات وجه جامد:

- لا تهتم باللغة يا دكتور. إنها فقط مسألة النسل التي أنا هنا لمتابعتها. أنا أمثل النساء في سن الإنجاب، وكما تعلمون فإن عددنا هنا خمس عشرة امرأة. حتى الآن كانت الفتيات حذرات للغاية. لدينا سبب لنكون كذلك. هل يمكنك، بصفتك طبيبًا، أن تضمن لنا - مع الأخذ في الاعتبار أنه ليس لديك عقاقير أو أدوات - ولادة آمنة؟ هل يمكنك أن تضمن أن أطفالنا سيكون لديهم فرصة جيدة للبقاء على قيد الحياة؟

تخلى «بويل» عن ثقته السابقة وكأنها ثوب قديم بالٍ، قال:

- سأكون صريحًا معكم. ليس لديّ، كما أشرتِ أنتِ يا آنسة «هارت»، فلا توجد أي عقاقير ولا أدوات. ولكنني أؤكد لكِ يا آنسة «هارت» أن فرصكِ في الولادة الآمنة هنا أفضل بكثير مما كانت عليه على كوكب الأرض خلال القرن الثامن عشر مثلًا. وسأخبركِ لماذا. على هذا الكوكب، على حد علمنا (ونحن هنا منذ فترة طويلة كفاية لنكتشف ذلك بالطريقة الصعبة)، لا توجد جراثيم ضارة بالإنسان. لو وُجِدَت مثل هذه الكائنات لكانت أجساد مَن تبقَّى منا مجرد كتل من التقيح بحلول هذا الوقت. معظمنا كان بالطبع سيموت بسبب التسمم الدموي منذ فترة طويلة. وأعتقد أن هذا يجيب عن كلا السؤالين.

قالت المرأة:

- لم أنتهِ بعد. هناك نقطة أخرى. نحن هنا ثلاثة وخمسون إنسان، رجالًا ونساءً. هناك عشرة متزوجون، سنستبعدهم. يتبقى ثلاثة وثلاثون إنسانًا،

منهم عشرون رجلًا. عشرون رجلًا مقابل ثلاث عشرة امرأة (ألسنا نحن الفتيات سيئات الحظ دائمًا؟). جميعنا لسنا صغارًا، لكننا جميعًا نساء. ما نوع نظام الزواج المتاح لدينا؟ الزواج الأحادي؟ تعدُّد الأزواج؟

قال رجل طويل القامة ونحيف بحدة:

- الزواج الأحادي بالطبع.

كان هو الوحيد من بين الحاضرين الذي يرتدي ثيابًا، إذا أمكن تسميتها كذلك. لم تكن الأوراق المتحللة التي التفت حول خصره بفرع من نبات السرخس لها أي فائدة فعلية.

قالت الفتاة:

- حسنًا إذن. الزواج الأحادي؛ أنا نفسي أفضّل ذلك. ولكنني أحذّركم أنه إذا كان هذا هو النظام الذي سنعتمده فستكون هناك مشكلة. وفي أي جريمة قتل بدافع العاطفة والغيرة، ستكون المرأة معرضة لأن تكون ضحية مثل الرجال، وأنا لا أريد ذلك.

سأل «بويل»:

- ماذا تقترحين إذن يا آنسة «هارت»؟

- اقتراحي بالتحديد: عندما يتعلق الأمر بالزواج، نستبعد الحب من علاقتنا الزوجية. إذا أراد رجلان الزواج من نفس المرأة فليتقاتلا، والرجل الأقوى هو من ينال الفتاة، ويحتفظ بها.

تمتم الجراح:

- الانتقاء الطبيعي... أنا أؤيد ذلك، لكن يجب أن نطرحه للتصويت.

عند قمة التل كان هناك منخفض ضحل، مساحة طبيعية. جلس الناجون حول الحافة، جميعهم باستثناء أربعة منهم، أحدهم كان الدكتور «بويل»، والذي اكتشف أن واجباته بصفته رئيسًا تشمل واجبات التحكيم؛ فقد اعتقدوا أنه الأكثر كفاءة للحكم عندما يكون أحد المتنافسين عُرضة للإصابة بأضرار دائمة. كانت الفتاة «ماري هارت» من بين الأربعة، وقد وجدت غصنًا مسننًا مشطت به شعرها الطويل، وصنعت إكليلًا من الزهور الصفراء لتتويج المنتصر. تساءل «هوكينز» بينما هو جالس مع أعضاء المجلس الآخرين: «هل كان ذلك شوقًا إلى حفل زفاف أرضي، أم أنه كان حنينًا إلى شيء أقدم وأشد قتامة؟».

قال الرجل البدين الجالس على يمين «هوكينز»:

- من المؤسف أن هذه الفطريات اللعينة قد أفسدت ساعاتنا. لو كان لدينا أي وسيلة لمعرفة الوقت لأمكننا إقامة جولات، ومنح جائزة نزال مناسبة للفائز.

أومأ «هوكينز» برأسه. ونظر إلى الأربعة في وسط الساحة، إلى المرأة المتبخترة بدائية المظهر وإلى الرجل العجوز المتكبر وإلى الشابين ذوي اللحى السوداء بجسميهما الأبيضين المتألقين. كان يعرفهما، كان «فينيت» أحد كبار الضباط على متن سفينة «لود ستار» منكودة الحظ؛ أما «كليمنس»، الذي يكبر «فينيت» بسبع سنوات على الأقل، فكان مسافرًا، يعمل مستكشفًا للعوالم الكونية الحدودية.

قال الرجل البدين بسعادة:

- لو كان لدينا ما نراهن به، لراهنت على «كليمنس». ليس لدى ضابطك هذا أي فرصة للفوز. لقد تربى على القتال النظيف، بينما تربى «كليمنس» على

قتال الشوارع.

قال «هوكينز»:

- «فينيت» في حالة أفضل. لقد اعتاد ممارسة التمارين الرياضية، بينما كان «كليمنس» مستلقيا ينام ويأكل. انظر إلى كرشه!

قال الرجل البدين وهو يربت على كرشه:

- لا عيب في اللحم والعضلات الصحية الجيدة.

هتف الطبيب:

- ممنوع الطعن والعض! وليفز الأقوى!

تراجع برشاقة بعيدًا عن المتسابقين، ووقف مع المرأة المدعوة «هارت». كان هناك شعور بالحرج يلفهما وهما يقفان هناك، وكلٌ منهما يضع يديه بجانبه. بدا أن كليهما نادم على وصول الأمور إلى هذا الحد.

صرخت «ماري هارت» في النهاية:

- هيا تحركا! ألا يريدني أحدكما؟ ستعيشان هنا إلى سن الشيخوخة، وستكونان وحيدين من دون امرأة!

وصرخت إحدى صديقاتها:

- يمكنهما الانتظار دائمًا حتى تكبر بناتك يا «ماري»!

فهتفت «ماري» ترد عليها:

- هذا إذا حظيت بأي بنات! لن يكون لي بنات بهذا الشكل!

صاح الحشد:

- هيا! فلتبدأ القتال!

بدأ «فينيت» الحركة فتقدم إلى الأمام بتردد، وسدد لكمة بقبضته اليمنى في وجه «كليمنس» المكشوف. لم تكن ضربة قوية، لكنها بالتأكيد كانت مؤلمة. وضع «كليمنس» يده على أنفه، ثم أبعدها وحدّق في الدماء اللامعة التي تلطّخها. زمجر غضبًا، واندفع إلى الأمام فاتحًا ذراعيه ليحطم منافسه ويسحقه. تراجع الضابط إلى الخلف، وسدد لكمتين أخريين بيمناه.

سأل الرجل البدين:

- لماذا لا يضربه؟

قال «هوكينز»:

- ويكسر كل عظمة في قبضته؟ إنهما لا يرتديان قفازات، كما تعلم.

قرر «فينيت» الهجوم. فوقف بثبات، وقدماه متباعدتان قليلًا، ورفع يمناه مرة أخرى. وفي هذه المرة ترك وجه خصمه وشأنه، ووجّه قبضته إلى بطنه بدلًا من ذلك. تفاجأ «هوكينز» عندما رأى منافسه، المستكشف، يتلقى الضربات بثبات واضح، واستنتج أنه أقوى بكثير مما يبدو عليه.

تفادى الضابط الضربات بمهارة... وانزلق على العشب الرطب. سقط «كليمنس» بثقله على خصمه؛ استطاع «هوكينز» سماع صفير الهواء يخرج من رئتي الفتى. وطوقت ذراعا المنقب الغليظتان جسد «فينيت»، وارتفعت ركبة «فينيت» بقوة إلى ما بين فخذي «كليمنس». صرخ المنقّب، لكنه ظل متشبثًا به وهو متجهم الوجه. أمسك بإحدى يديه رقبة «فينيت» الآن، واتجهت أصابع اليد الأخرى بشراسة تخدش عيني الضابط.

صرخ «بويل»:

- ممنوع فقء العين! ممنوع فقء العين!

جثا على ركبتيه وأمسك معصم «كليمنس» بكلتا يديه.

شيء ما جعل «هوكينز» يتطلع للأعلى. ربما كان صوتًا، وإن كان هذا أمرًا مشكوكًا فيه؛ فقد كان المتفرجون يتصرفون كمشجعي مباراة مصارعة حقيقية. ولا يمكن لومهم على ذلك، فقد كانت هذه هي المرة الأولى التي يتعرضون فيها لبعض الإثارة الحقيقية منذ فقدان السفينة. ربما كان الصوت هو ما جعل «هوكينز» ينظر إلى أعلى، وربما كانت الحاسة السادسة التي يتمتع بها جميع رواد الفضاء المتميزين.

لكن ما رآه جعله يصرخ؛ كانت هناك مروحية تُحلّق فوق الساحة!

كان هناك شيء ما في تصميمها، غرابة خفية، أشعرت «هوكينز» أن هذه ليست آلة أرضية!

من بطنها الأملس اللامع، تدلت شبكة، تبدو وكأنها مصنوعة من معدن باهت. أحاطت تلك الشبكة بالشخصين المتصارعين على الأرض، وحاصرت الطبيب و«ماري هارت».

 صرخ «هوكينز» مرة أخرى، صرخة صامتة. ثم قفز واقفًا على قدميه وركض لمساعدة رفيقيه المحاصرين. بدت الشبكة وكأنها كائن حي. التفّت حول معصميه وربطت كاحليه. هُرع بعض من الناجين لمساعدة «هوكينز»، لكن هذا الأخير صرخ فيهم:

- ابتعِدوا! تفرقوا!

ارتفع صوت مراوح المروحية المنخفض، ثم ارتفعت الآلة. وفي فترة

زمنية قصيرة لم تعُد الساحة في نظر الرجل الأول تمثل أكثر من صحن أخضر باهت يندفع فيه نمل أبيض صغير شارد بلا هدف. ثم صارت الآلة الطائرة فوق مجموعة من الشُحُب المنخفضة وذابت عبرها، ولم يعُد هناك شيء تمكن رؤيته سوى بياض الغيوم التي حلّقت بالأعلى.

وعندما هبطت أخيرًا لم يتفاجأ «هوكينز» برؤية البرج الفضي لسفينة فضائية ضخمة تقف بين الأشجار المنخفضة على هضبة مستوية.

كان من الممكن أن يكون العالَم الذي نُقِلوا إليه أفضل بكثير من العالَم الذي تركوه، لولا اللطف الزائف لخاطفيهم. كان القفص الذي وُضِع فيه الرجال الثلاثة يضاهي بدقة ملحوظة الظروف المناخية للكوكب الذي فُقِدت فيه السفينة «لود ستار». كان القفص مُغطًى بالزجاج، وينهمر من الرشاشات الموجودة في سقفه رذاذ الماء الدافئ باستمرار. ولم يوفر زوج من أشجار السرخس الذابلة مأوًى كافيًا من الأمطار الكئيبة.

لمرتين في اليوم، كانت تفتح فتحة في الجزء الخلفي من القفص، مصنوعة من نوع من الخرسانة، وتُلقى عبرها ألواح من الفطريات تشبه بشكل ملحوظ تلك التي كانوا يعيشون عليها. كان هناك ثقب في أرضية القفص؛ وقد افترض السجناء، وكانوا محقين في افتراضهم، أنها تُستخدَم لأغراض صحية.

على جانبيهم كانت هناك أقفاص أخرى. في إحداها قبعت «ماري هارت» بمفردها. كان بإمكانها أن تشير وتُلوّح لهم وهذا كل شيء. أما القفص الموجود على الجانب الآخر فكان يحوي وحشًا له ذات البناء العام لسرطان البحر ولكنه بدا أشبه بنوع من الحبار. كان بإمكانهم رؤية أقفاص أخرى عبر الممر العريض، ولكن لم يكن بوسعهم رؤية ما تحويه.

جلس «هوكينز» و«بويل» و«فينيت» على الأرض الرطبة، وحدّقوا عبر

الزجاج السميك والقضبان إلى الكائنات الموجودة بالخارج التي كانت تُحدِّق بهم.

تنهد الطبيب قائلًا:

- لو كانوا بشرًا. لو كانوا فقط يشبهوننا في الشكل، لربما أمكننا البدء في إقناعهم بأننا أيضًا كائنات ذكية.

قال «هوكينز» للضابط:

- إنهم ليسوا من نفس شكلنا. لو انقلب الوضع، كنا سنحتاج إلى بعض الإقناع بأن ثلاثة كائنات تشبه براميل جعة ذات ست أرجل هم رجال وإخوة... جرب «نظرية فيثاغورس» مرة أخرى.

بلا حماس كسر الشاب أغصانًا من أقرب شجرة سرخس. كسّرها إلى قِطع أصغر ثم وضعها على الأرض المغطاة بالطحالب على شكل مثلث قائم الزاوية مع مربعات مبنية على الأضلاع الثلاثة. نظر إليه السكان الأصليون - أحدهم كبير والآخر أصغر قليلًا والثالث صغير - من دون فضول بعيونهم المسطحة الباهتة. وضع الكبير طرف أحد مجساته في جيبه - كانت تلك المخلوقات ترتدي ملابس - وأخرج عُلبة ملونة زاهية وناولها للصغير. مزق الصغير الغلاف، وبدأ يحشو بعض القِطع من الحلوى الزرقاء الزاهية في الفتحة الموجودة في الجانب العلوي، والتي كان واضحًا أنها بمنزلة فم.

تنهد «هوكينز» قائلًا:

- أتمنى لو كان مسموحًا لهم بإطعام الحيوانات. لقد سئمت تناوُل ذلك الفطر اللعين.

علّق الطبيب بقوله:

- دعونا نُلخِّص الأمر بعد كل شيء، ليس لدينا شيء آخر نفعله. نُقِلنا من مخيمنا بالمروحية، ستة منا. نُقِلنا إلى سفينة الاستكشاف، وهي سفينة لا تبدو بأي حال من الأحوال أكثر تطورًا من سفننا الفضائية. أنت تؤكد لنا يا «هوكينز» أن السفينة كانت تستخدم محرك «إرنهافت» أو شيئًا قريبًا منه لدرجة أنه كتوئمه...

وافقه «هوكينز»:

- هذا صحيح.

- وعلى متن السفينة احتُجِزنا في أقفاص منفصلة. لا توجد معاملة سيئة، فنحن نحظى بالطعام والماء باستمرار. هبطنا على ذلك الكوكب الغريب، لكننا لا نرى منه شيئًا. نُخرَج من الأقفاص مثل قطعان الماشية إلى شاحنة مغطاة. نعلم أننا نُنقَل إلى مكان ما، هذا كل ما في الأمر. تتوقف الشاحنة، ويُفتَح الباب، ويخرج من الشاحنة زوجان من براميل الجعة المتحركة تلك، والتي تُخرِج أعمدة متصلة بنسخ أصغر من تلك الشباك الضخمة في نهايتها. أمسكوا بـ«كليمنس» والآنسة «تايلور» وسحبوهما للخارج. لم نرَهما مرة أخرى. يقضي بقيتنا الليلة واليوم والليلة التاليين في أقفاص منفصلة. في اليوم التالي أخذونا إلى... حديقة الحيوانات تلك...

سأل «فينيت»:

- هل تعتقد أنهما شُرِّحا؟ أنا لم أحِب «كليمنس» قَط، ولكن...

قال «بويل»:

- أخشى أن هذا ما حدث. لا بد أن خاطفينا قد علموا بالفرق بين الجنسين من خلال ذلك. ولسوء الحظ لا توجد طريقة لتحديد الذكاء عن طريق

التشريح.

صرخ الضابط:

- تلك الوحوش القذرة!

نصحه «هوكينز»:

- على رسلك يا بُني. لا يمكنك لومهم، كما تعلم. لقد شرّحنا حيوانات تشبهنا كثيرًا مقارنةً بما نحن عليه بالنسبة لهذه الكائنات.

تابع الطبيب:

- المشكلة هي إقناع هذه المخلوقات - كما تسميها أنت يا «هوكينز» - بأننا كائنات عاقلة مثلها. كيف يُعرّفون الكائن العاقل؟ كيف يمكننا تعريف «الكائن العاقل»؟

قال الضابط بتجهُّم:

- شخص يعرف «نظرية فيثاغورس».

قال «هوكينز»:

- لقد قرأت في مكان ما أن تاريخ الإنسان هو تاريخ الكائن الذي يصنع النار ويستخدم الأدوات...

ثم اقترح الطبيب:

- إذن فلنشعل النار، اصنع لنا بعض الأدوات واستخدِمها.

- لا تكن ساذجًا. أنت تعلم أنه لا توجد أي أدوات مع أفراد مجموعتنا. ولا حتى أسنان صناعية، ولا حتى حشوة أسنان معدنية. ومع ذلك...

ثم توقف قليلًا قبل أن يكمل:

- عندما كنت شابًا كانت هناك محاولات لإحياء الفنون والحِرف القديمة بين العسكريين في السفن المنطلقة بين النجوم. اعتبرنا أنفسنا ننحدر مباشرةً من سلالة البحّارة القدامى، لذلك تعلّمنا كيفية ربط الحبال والأسلاك، وكيفية صُنع السينيت والعُقد الصعبة وكل شيء. ثم خطرت لأحدنا فكرة صناعة السلال. كنا على متن سفينة ركاب، واعتدنا أن نصنع سلالنا سرًا ونصبغها بألوان زاهية، ثم نبيعها للركاب على أنها تذكارات حقيقية من كوكب «أركتوروس السادس» المفقود. كان مشهدًا مؤسفًا للغاية عندما اكتشف القبطان العجوز ومساعده الأمر...

سأل الطبيب:

- ما الذي ترمي إليه؟

- هذا فقط. ستثبت مهارتنا اليدوية بنسج السلال، سأعلمكم كيف.

قال «بويل» ببطء:

- قد ينجح الأمر... قد ينجح الأمر... من ناحية أخرى، لا تنس أن بعض الطيور والحيوانات تفعل الشيء نفسه. على الأرض هناك القندس، الذي يبني سدودًا ذكية للغاية. وهناك طائر التعريشة الذي يصنع كوخًا لرفيقته كجانب من طقوس المغازلة...

لا بد أن رئيس الحراس على علم بالمخلوقات التي تشبه عاداتها في المغازلة عادات طائر التعريشة. بعد ثلاثة أيام من العمل المحموم في صُنع السلال، والتي استهلكت كل ما لديهم من أغطية وجردت الأشجار من أوراقها، أخرِجَت «ماري هارت» من قفصها ووُضعَت مع الرجال الثلاثة. وبعد أن تجاوزت سعادتها الهستيرية بوجود شخص آخر تتحدث معه مرة

أخرى، كانت مستاءة بعض الشيء.

فكر «هوكينز» بنعاس: «جيد أن تنضم «ماري» إليهم. من المؤكد أن بضعة أيام أخرى من الحبس الانفرادي كانت ستقود الفتاة البائسة إلى الجنون».
ومع ذلك، فإن وجود «ماري» في نفس القفص كانت له عيوبه. كان عليه مراقبة الشاب «فينيت» عن كثب. بل كان عليه مراقبة «بويل»، ذلك التيس العجوز!

فجأة صرخت «ماري».

انتفض «هوكينز» ناهضًا في يقظة تامة. استطاع أن يرى شكل «ماري» الشاحب – لم يكن الليل مظلمًا تمامًا في هذا العالم - وعلى الجانب الآخر من القفص كان يرى هيئة كلٍّ من «فينيت» و«بويل». نهض على قدميه بسرعة وسار بخُطَى متعثرة إلى جانب الفتاة.

سألها:

- ما الأمر؟

- لا... لا أعلم... شيء صغير بمخالب حادة... لقد جرى فوقي...

قال «هوكينز»:

- أوه، كان ذلك «جو» فحسب.

تساءلت: - «جو»؟

قال الرجل:

- لا أعرف بالضبط ما هو، أو هي.

قال الطبيب:

- أعتقد أنه مذكر أي «هو» بالتأكيد.

سألته مرة أخرى: - ما «جو»؟

قال الطبيب:

- لا بد أنه المقابل المحلي للفأر على الرغم من أنه لا يشبهه على الإطلاق. إنه يخرج من الأرض من مكان ما بحثًا عن بقايا الطعام. نحن نحاول ترويضه.

صرخت قائلةً:

- هل تشجعون هذا الوحش القذر؟ أطالبك بفعل شيء حيال ذلك على الفور في الحال! سمّمه أو اصطده. الآن!

قال «هوكينز»:

- غدًا.

صرخت:

- بل الآن!

قال «هوكينز» بحزم:

- غدًا.

تبين أن القبض على «جو» كان سهلًا. وُضعت سلتان مسطحتان، مربوطتان بمفصلين مثل صدفتي المحار تحت الفخ. كان هناك طُعم بالداخل، قطعة كبيرة من القطن كان هناك عمود مجهز ببراعة بحيث يسقط عند أقل سحب للطُعم.

سمع «هوكينز»، الذي كان مستلقيًا بلا نوم على سريره الرطب، النقرة

الخفيفة والجلبة الخافتة التي نبهته أن الفخ قد وقع. وسمع غمغمة «جو» الساخطة، وسمع المخالب الصغيرة وهي تخربش في السلة المتينة.

كانت «ماري هارت» نائمة. فهزها وقال:

- لقد أمسكنا به.

أجابت بنعاس:

- اقتله إذن.

لكن «جو» لم يُقتَل. فقد تعلّق الرجال الثلاثة به. ومع بزوغ ضوء النهار نقلوه إلى قفص قد صنعه «هوكينز».

حتى الفتاة رضخت عندما رأت كرة الفرو الملونة غير المؤذية تتقافز بغضب لأعلى وأسفل في سجنها. أصرّت على إطعام الحيوان الصغير وصاحت بسعادة عندما امتدت المجسات الرفيعة وأخذت قطعة الفطر من أصابعها.

لثلاثة أيام اعتنوا بحيوانهم الأليف. وفي اليوم الرابع، دخلت الكائنات الذين اعتقدوا أنهم حراس إلى القفص بشباكهم، وشلوا حركة ماكنيه واختطفوا «جو» و«هوكينز».

قال «بويل»:

- أخشى أن الأمر ميؤوس منه. لقد ذهبا بنفس الطريقة...

قال «فينيت» بكآبة:

- سوف يحنطونهما ويضعونهما في أحد المتاحف.

قالت الفتاة:

- لا. لا يمكنهم ذلك!

قال الطبيب:

- بل يمكنهم ذلك.

فجأة انفتح المدخل الموجود في الجزء الخلفي من القفص. وقبل أن يتمكن البشريون الثلاثة من التراجع، صاح صوت:

- كل شيء على ما يُرام، اخرجوا.

دخل «هوكينز» القفص. كان حليقًا، وقد اكتست بشرته ببعض السمرة وبدت عليه علامات التغذية الجيدة. كان يرتدي سروالًا قصيرًا مصنوعًا من نسيج أحمر لامع. صاح مرة أخرى:

- هيا اخرجوا. لقد اعتذر مضيفونا عن سلوكهم السابق بصدق شديد، وأعدوا لنا مسكنًا أكثر ملاءمة. ثم، بمجرد أن يُجهّزوا سفينة، سنذهب لالتقاط الناجين الآخرين.

قال «بويل»:

- انتظر. ضَعنا في الصورة، هلّا فعلت؟ ما الذي جعلهم يدركون أننا كائنات عاقلة؟

اسود وجه «هوكينز»، وهو يقول:

- لأن الكائنات العاقلة فقط هي التي تضع الكائنات الأخرى في أقفاص!

***

تمت

الكاتب

«آرثر بيرترام تشاندلر»: وُلِد في «ألدرشوت» بإنجلترا في 28 مارس 1912. وعمل ضابطًا في البحرية التجارية. هاجر إلى أستراليا في عام 1956 وأصبح مواطنًا أستراليًا. تولى قيادة سفن مختلفة في البحرية التجارية الأسترالية والنيوزيلندية. خلال الحرب العالمية الثانية، كان ضابط مدفعية في سفن نقل الجنود ثم ضابطًا رئيسيًا في سفن الركاب. في أثناء الحرب، التقى «جون دبليو كامبل» الابن، محرر مجلة «خيال علمي مدهش»، الذي حث «تشاندلر» على الإسهام في هذه المجلة وغيرها من مجلات الخيال العلمي. اشتهر بسلسلة «ريم وورلد» وروايات «جون جرايمز»، وكلاهما يتميز بنكهة بحرية مميزة. وفي الرواية الأخيرة، كان بطله الرئيسي، «جون جرايمز»، بحارًا متحمسًا يخوض مغامرات في محيطات كواكب مختلفة. نشر نحو أربعين رواية ومائتي قصة قصيرة، تحت اسمه الحقيقي والأسماء المستعارة: «أندرو دنستان»، و«س. هـ م»، و«كارل لورنس»، وفي أغلب الأحيان «جورج ويتلي». من أعماله الأخرى: «طاعون هاملين» (1963)، «كوكب المجد» (1964)، «دوامات الزمن» (1964)، «المريخيون البدلاء» (1965)، «وحوش البحر» (1971)، «حدود الظلام» (1984). تُرجمت العديد من كُتبه إلى لغات أخرى، بما في ذلك الروسية والإنجليزية. فاز «تشاندلر» بجائزة «ديتمار» لأفضل كاتب خيال علمي أسترالي أربع مرات (1976، 1975، 1971، 1969)، كما فاز بجائزة «سيون شو» في اليابان عام 1976. وجائزة «آ. بيرترام تشاندلر»، التي أنشئت تكريمًا له وقُدِّمت لأول مرة عام 1992، للإنجاز المتميز في الخيال العلمي الأسترالي. كان زميلًا في «الجمعية البريطانية للكواكب» (1947)، وكان ضيف شرف في «مؤتمر الخيال العلمي العالمي» في شيكاغو (1982). تُوفِّي في 6 يونيو 1984 في «دارلينج هيرست» بـ«سيدني».

المترجم

محمد عبد العزيز: قاص وروائي ومترجم من مواليد القاهرة، ١٩٨٦، تخرّج في كلية الصيدلة، جامعة القاهرة. حصل على المركز الأول في مسابقة «القلم الحر للإبداع العربي» عام ٢٠١٠. شارك ضمن فوج أختير من شباب الكتّاب عام ٢٠١٥ بمشروع «شمال وجنوب» التابع للاتحاد الأوروبي ومكتبة الإسكندرية. ترجم العديد من الكتب والروايات والقصص المصورة، منها: «نفوس معقدة»، «كل شيء هادئ على الجبهة الغربية»، «عزّاف الماء»، «الكاتدرائية السوداء»، «علامة الأربعة»، «أيام. شهور. سنوات». بالإضافة لسلسلة «هيتشكوك يقدم». صدر له عن دار «منشورات ويلز» ترجمة قصة: «الرحلة الأخيرة» للكاتب «ويليام ف. نولان».